مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

كشاف الجسور في مصر خلال العصرين الأيوبي والمملوكي

[٥٦٧ - ٩٢٣ هـ/ ١١٧١ - ١٥١٧م]

سيد خليل محمد علي

باحث بقسم التاريخ

كلية الآداب –جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2022.127789.1395

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥٦) يوليو ٢٠٢٢

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

كشاف الجسور في مصر خلال العصرين الأيوبي والمملوكي

[٩٢٣.٥٦٧هـ/١٥١٧.١١٧١م]

الملخص:

نظرًا لما آلت إليه الجسور والقناطر من اتساع وانتشار بالقطر المصري خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، برزت العديد من الوظائف التي ارتبطت بتلك المنشآت، وعلى رأس تلك الوظائف كانت فئة الكشاف، إذ بلغت مكانتهم أرقى المناصب خلال هذين العصرين، وصار متولي مهنة الكاشف ذا سلطة واسعة النطاق، الأمر الذي جعل متوليها من المقربين إلى السلطان أو الملك، ثم صار ولاة لأقاليم هم أنفسهم من يتولون تلك الوظيفة، ومع تقدم العقود بالعصر المملوكي ازداد عدد الكشاف بالوجهين القبلي والبحري، فبعدما كان عدد الكشاف ثلاث للوجهين والجيزة، إلا إنه مع نهاية العصر المملوكي بات لكل إقليم كاشف خاص به، ومع ازدياد عدد الكشاف وارتفاع مكانتهم كثرت اشغالهم، ومن ثم لزم الأمر وجود من يعاون الكشاف في أعمالهم، ومن ثم برزت بعض الوظائف الخدمية التي ارتبطت ارتباطًا مباشرًا بالجسور وكشافها، منها؛ الخولي، ومهندسو العمائر، والشاد، وحراس الجسور، وغيرهم من الفعلة البنائين.

الكلمات المفتاحية: الجسور، القناطر، الكاشف، الخولي، مهندسو البناء، شاد البناء.

مقدمة:

نظرًا لما شهدته البلاد من تغير لأطوار الحياه خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، حرص ملوكها على توفير عدد من الموظفين الأكفاء متعددي الاختصاصات[١]، ولما كان للجسور والقناطر أهمية اقتصادية واجتماعية، علاوة على ارتباطها بالأوضاع السياسة والعسكرية كذلك، ومن جانب آخر أضحت مصدرًا حيويًا لدرَّ الغلات والخيرات على البلاد[٢].

أ) كاشفو الجسور ومهامهم[٣]:

- كاشفو الجسور:

الكاشف هو المصلح والمتفقد لأحوال الأهالي والجسور، والكشف بمعنى الاهتمام بالأرض وانتاجها، وكان يطلق عليه كاشف التراب لما يقوم به من سحب التراب وتجميعه ككمان عالية، وربما لأن التراب كان من أكثر المواد المستخدمة في عمل الجسور وخاصة الجسور البلدية، وسمي كاشف الجسور لأنه يقوم بتفقد أحوال الجسور

[١]) مؤلف مجهول: خزانة السلاح, ص١٤.

[٢]) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك, ص١٢٩.

[٣]) جمع كاشف, وهم الحكام, وكان الحاكم منهم بمثابة المحافظ أو بمثابة وكيله أو مأمور المركز إذا كان يحكم جزءًا من الكشوفية, وكلمة كاشف مأخوذة من الفعل كشف, إذ أن الأصل في وظيفة الكشاف أن يكشفوا عن أحوال الأقاليم, ولما ازدادت مهامهم أواخر العصر المملوكي كانوا هم الحكام للأقاليم مع احتفاظهم بالمسمى القديم, أي صار كاشفًا يحكم. مؤلف مجهول: خزانة السلاح, ص١٧.؛ ابن زمبل: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني, ص١٥.

وكشف ما بها من تلفيات وقطوع، ولقب "بمصلح الجسور" أيضًا؛ لأنه هو الذي يتولى إصلاح ما حدث من تخريب جراء انهيار البعض منها[١].

والكاشف هو الذي يكشف الشيء، وعنه كشفا، ورفع عنه ما يواريه ويغطيه، ويقال كشف الأمر أظهره[٢]، وجرت العادة في العصر المملوكي أن يرسل كاشف الجسور كل سنة لعمارتها، وفي خدمته خولة ومهندسون يساعدونه في اتمام مهامه[٣].

وتعد وظيفة الكاشف من أكثر المهن التي ارتبطت ارتباطًا مباشرًا بالجسور والقناطر، وتقوم هذه المهنة على تولي أمر المنشآت المائية واستطلاع احتياجاتها، وكذلك تقوم على تدبير شئون ورعاية وحراسة الجسور والقناطر، ولما بلغت الجسور ما بلغته من كثرة وانتشار خلال العصر المملوكي، أضحى لكاشف الجسور جاه ومكانة لم يسبق لها مثيل من قبل، وهذا لا يعني أن وظيفة كاشفي الجسور وليدة العصر المملوكي، وإنما ارتفعت مكانتها وازدادت اختصاصاتها خلال ذلك العصر، ومما يدلل على وجود هذه الوظيفة قبل العصر المملوكي نقش بتاريخ سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م في جامع العمري بمدينة قوص[٤]، تفيد بأنه كتب عن الكاشف لأمر المنشآت المائية

---

[١] القلقشندي: صبح الأعشى, ج٣, ص٤٤٤. ٤٤٨.؛ ابن الرومي: الاعلان بأحكام البناء, ص١٥٧.؛ ابن الشحنة: البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر "محمد بن قايتباي", تحقيق عمر عبد السلام تدمري, دار الكتاب العربي, بيروت, ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م, ص٣٧.؛ ابن زمبل: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني, ص٧.؛ زين العابدين بن شمس الدين بن نجم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية, ص٤٤٣.؛ عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك, ص٧٢.؛ قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري, ص٢٥.

[٢] ابن الرومي: الاعلان بأحكام البنيان, ص٢١٧.

[٣] القلقشندي: صبح الاعشى, ج٣, ص٤٤٨.؛ زين العابدين بن شمس الدين بن نجم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية, ص١٨٣.

[٤] قوص: بالضم ثم السكون, هي مدينة قبطية وهي قصبة صعيد مصر, بينها وبين الفسطاط مسيرة اثنا عشر يومًا. ياقوت الحموي: معجم البلدان, مج٤, ص٤١٣.

وأطلق عليه "الصالح طلائع الجسور"، وقد ورد أيضًا في بعض المعاهدات التي تنسب للعصر الأيوبي هذا اللقب ضمن الألفاظ التي أطلقت على كشاف البلاد[١].

وفي العصر المملوكي درجت مهنة كاشف الجسور ضمن موظفي الإدارة المركزية، والذي عرف متوليها حينها باسم "كاشف التراب"، واختصت مهامه في الاشراف على الجسور السلطانية، وقد جرت العادة أن يجهز في كل سنة لكل عمل من الأعمال أمير مهمته عمارة الجسور، يعرف بين الجميع باسم كاشف الجسور[٢]، وكان كشافو الجسور هؤلاء يعينون في بادئ الأمر من الأمراء مقدمي الألوف فحسب، ويخرج كل منهم إلى الإقليم الذي عين له في فصل الربيع من كل سنة[٣]، ولكثرة الجسور والقناطر التي باتت في مصر إبان العصر المملوكي، زاد عدد متولي وظيفة كشف الجسور؛ ولشدة الاحتياج إليهم صار يعين من يرأسهم ويلقب "كاشف الكشاف"، مهمته الاشراف على أحوال الجسور والأراضي قاطبة، وكتابة تقرير عن كل ناحية وكاشفها ومدى قيامه بالعمل[٤].

أما عن الكشاف كوظيفة إدارية؛ فإن كلمته واجبة النفاذ، وكانوا يظهرون في غاية الأبهة، وكان تحت رهنه عدد كبير؛ ليسيرهم في الكشف عن مواطن الضعف بالجسور ومعالجتها قبل قدوم البشارة بالنيل، ومما يدلل على عظم الوجاهة والمكانة التي لشاف الجسور يكفي الإشارة إلى أن الواحد منهم كان يفرق في كل ليلة ألف

---

[١] العروسي: أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل, ص٢٥.؛ حسن الباشا: الألقاب الإسلامية, ص٤٣٤.

[٢] القلقشندي: صبح الأعشى, ج٣, ص٤٤٤, ٤٤٨.؛ ابن زمبل: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني, ص٧.

[٣] ابن شاهين: زبدة كشف الممالك, ص١٣٠.؛ القلقشندي: صبح الأعشى, ج٣, ص٤٤٤. ٤٤٨.؛ قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري, ص٢٥.؛ محمد عبد الرشيد بحر: القرية المصرية, ص٤٨.

[٤] عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك, ص٧٢.

عليقة[١] على ما معه ومع أتباعه من خيل، وفي عصر الجراكسة صارت وظيفة الكشاف يتولاها والي الإقليم في المقام الأول، ومن بعده توكل إلى البقية من الاستادار[٢].

ولحرص السلاطين والملوك على اتقان الكشاف المعينون أعمالهم بالوجهين: البحري والقبلي، كانوا كلما عادوا من مهمتهم التي كلفوا بها من قبل السلطان وأظهر نجاحهم في ذلك خلع عليهم السلطان تقديرًا لجهودهم وأهمية العمل الذي أنجزوه[٣].

وبيد أن طول المدة التي كان عليها العصر المملوكي كانت مدعاة لتقلب أوضاع كثيرة بالنظم الإدارية للدولة، منها المناصب الوظيفية وعلى رأسهم كشافو الجسور، حيث بمرور العهود لم تبت قاصرة على مقدمي المائة أو الألوف فإن القاعدة لم تكن ثابتة، حيث وجد من ضمن من يتولى أمر كشف الجسور من هم دون ذلك في بداية العصر المملوكي، وكذلك تولى ذلك المنصب من الأمراء من هو أمير طبلخانات[٤].

وفي بعض الأوقات كان يتولى مهمة كشف الجسور أناس من بين مشايخ العربان ورجال الأقاليم، وربما وصل الأمر إلى أن يتولاها أحد العامة، وحقيقة أن هذا الوضع لم يكن إلا في بداية العصر المملوكي، ولكن بمرور العقود والعهود بات لا يتولاها إلا علية القوم من الامراء وولاة الأعمال، وذلك لما صار إلى متوليها من صلاحيات[٥].

ـ مهام كاشف الجسور:

---

[١])عليقة: لفظ أطلق على ما يقدم للدواب من علف وحبوب وغير ذلك, ولكل فئة مقدارها ونوعية من الأعلاف. الفيروزآبادي: القاموس المحيط, ١١٣٤.؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية, ص١٠

[٢]) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك, ص١٣٠.

[٣]) سعيد عاشور: العصر المماليكي, ص٢٨٦.

[٤]) القلقشندي: صبح الأعشى, ج٣, ١٥٨.

[٥]) القلقشندي: الأعشى, ج٣, ص٤٤٤.؛ المقريزي: السلوك, ج٣, ق٣, ص١٠٠.؛ مجدي عبد الرشيد بحر: القرية المصرية, ص٤٨.

وبفضل الصلاحيات التي أوكلت لمهنة الكشاف صار متوليها مهابًا من قبل العامة، ولما زادت مهامه أضحى له معاونون يعملون تحت إشرافه وأوامره، وهذا ما جعل الكثيرين يرغبون في مثل تلك الوظائف حتى وإن كانوا من أكابر الدولة، وبتطور أوضاع الجسور والقناطر وزيادة الاهتمام بها والمبالغة في رعايتها باتت مهنة كشافي الجسور يتولاها من هم ذو مكانة مقربة للسلطان، وإن لم يكن السلطان هو نفسه كاشفًا لبعض المناطق، سواء قبل ولايته أو بعدها، وهذا ما علمناه عن المظفر بيبرس الجاشنكير[٧٠٨-٧٠٩هـ/١٣٠٨- ١٣٠٩م]، الذي كان كاشفًا لإحدى النواحي بالشرقية قبل توليه السلطنة، ومن المعلوم إنه في زمن الناصر محمد بن قلاوون [٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤٠م] بنيت الكثير من الجسور والقناطر، وذلك رغبة وشغفًا من الناصر بتلك المنشآت، ومما أقره كثير من مؤرخي العصر إنه بالغ في العطايا لكل من يتولى أمر هذه المنشآت ويجيد رعايتها، ومن ثم تدافع الكثير من الأمراء على الاستحواذ بتلك الوظيفة بجانب وظائفهم الرسمية، ولا أدل على ذلك ما كان يجلبه أولئك الكشاف إلى وزير القاهرة من التقادمات[١]، رغبة منهم في الاحتفاظ بمناصبهم، واستمرارهم في وظيفة الكشف التي تقلدوها[٢].

ويبدأ الكاشف ممارسة أعباء عمله في اليوم السادس من شهر كيهك "ديسمبر"، وذلك بعد أن يحمل معه كشوفًا بما هو مقرر على البلاد من رجال وأبقار، وجراريف،

---

[١] والتقادم أو التقدمة هي كل ما يقدم من الولاة والحكام والأمراء إلى السلاطين كهدية يعبرون بها عن الود وحسن الصلات ولنيل الرضا, وكذلك تعبيرًا عن الخضوع والاحترام , وكذلك هي عبارة عن هدايا متبادلة بين السلاطين وغيرهم كدليل على حسن النوايا وكسب العلاقات الطيبة أو المبالغة فى إظهار الود والاحترام المتبادل بينهم, أو كرسوم فرضت على أصحاب تلك البلاد. زين العابدين بن شمس الدين بن نجم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية, ص١٦٠.؛ قاسم عبده قاسم :أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك , ص٣٤.؛ منى محمد بدر : أثر الحضارة السلجوقية ، ص ١٧٩.

[٢] المقريزي: السلوك, ج٢, ق٣, ص٨٠٥.

ثم يوزعها على خولة الجسور بمجرد وصوله إلى عاصمة الولاية، وحينها يستقر بالجهة المكلف برعاية ما بها من منشآت مائية، ولا يغادرها إ باستدعاء من السلطان شخصيًا، أو لعرض أمر طارق لا يحتمل التأخير، ويتبين لنا من ذلك أن الكاشف بلغ من المكانة ما تجعله بمثابة نائب عن السلطان، وعلى غير مرة خطت المصادر التاريخية أن السلطان كان لا يكتف بما يقوم به الكاشف المرسل بأحد الأقاليم؛ لكثرة ما انتاب الجسور والقناطر هنالك من هدم وقطع، فيأمر بإرسال أمير آخر إليه ليعاونه، ويأمره بعدم المغادرة إلا بعدما يأذن له الكاشف، وفي ذلك برهان على إعلاء مكانة أولئك الكشاف[١].

وعمل كاشفي الجسور لا يقتصر على الكشف عن مواضع الجسور وبنائها، أو إصلاح ما تم تصدعه وانهياره بفعل الفيضان فحسب، وإنما كانت تستمر مهامه حتى بلوغ زيادة النيل أقصاها، فلا يغادر مكانه؛ لأن التعامل مع فيضان النيل يتم على مراحل متعاقبة، يبدأها الكاشف وخبرائه وعماله بالتجهيز لاستقبال موسم الفيضان، وبعد أن يصل الفيضان إلى حد الوفاء، تقطع بالجسور والسدود مقاطع ري البلاد بإذن من كاشف الجسور بالمنطقة، ولا يجرؤ أحد غيره أن يعطي هذا القرار مهما بلغ منصبه؛ لأنه في كثير من الأحيان تتسع هذه المقاطع؛ بسبب شدة تدفق الماء اتساعًا كبيرًا، حتى يصل بها الأمر إلى الانبلاج والعجز عن التحكم به فتحتم الضرورة سرعة التعامل معه واحكام سده، وعلى الكشاف أن يكون على أهبة الاستعداد تجاه ذلك الموقف، فلربما يكون الاحتياج إلى عدد كثير من العمال والفعلة، وكذلك كم كبير من المواد والآلات لسد قطع الجسر[٢].

---

[١]) زين العابدين بن شمس الدين بن نجم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية, ص٤٤٣.؛ عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك, ص٧٢.؛ مجدي عبد الرشيد بحر: القرية المصرية, ص٥٠.

[٢]) ابن زمبل: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني, ص٨.

ويعطينا ابن زمبل[١] تقديرًا عن متوسط احتياج العمل من عمال وآلات ساعة انبلاج الجسر، وذكر: إنه يحتاج لسده والتحكم فيه إلى نحو مائة رجل، وخمسين رأسًا من البقر بمحاريث كبار وجراريف، وربما انبلج السد بأكمله، فيحتاج إلى عمل منظم وجهد شاق، لا يقوم يشرف عليه إلا كاشف منطقة ويعاونه الخبراء والمهندسين المعنين بهذا العمل، لذا وجب على كشافي الجسور مراقبة المنشآت المائية وعلى الأخص الجسور والقناطر بمنطقة عملهم، وألا يتغافلوا لبرهة من الزمن عنها وإلا ستحدث أضرار جسيمة، ويصير ما لا يحمد عقباه، وعادة تزيد مدة عمل الكاشف على خمسة أشهر في كل عام ذي فيض، لا يستطيع ترك المنطقة قبل هبوط النيل واستقرار الأوضاع بمنطقته، وفي حين انهيار الجسور وتصدع القناطر بالمنطقة لزيادة النيل عن الحد المحتمل، يواصل العمل للاستعداد للعام المقبل فلربما لا يسعفه الوقت في انجاز كافة مهامه[٢].

ومن هنا يتبين لنا أهمية تواجد دور كشافي الجسور في ضواحي البلاد، ويتجلى ذلك في رعاية المنشآت العامة بها، وعلى رأسها الجسور والقناطر، فضلاً عن مساهمته في ضبط أمن المنطقة مع الولاة ونوب السلاطين، وبغياب مكانة الكاشف تتأثر البلاد في كافة نواحيها، حتى وإن كان بطريق غير مباشر[٣].

وعودة على بدء نجد أنه في سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م، بلغت وظيفة كاشف الجسور أوج مكانتها وعظمتها، وذلك عندما أيقن السلطان الصالح صالح أن ضبط البلاد يجب أن يبدأ من الأرياف وضواحي البلاد، ومن ثم زاد من مكانة كافة الوظائف بتلك

---

[١] ابن زمبل: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني, ص٨

[٢] زين العابدين بن شمس الدين بن نجم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية, ص٤٤٣.؛ مجدي عبد الرشيد بحر: القرية المصرية, ص٥١.

[٣] ابن شاهين: زبدة كشف الممالك, ص١٣٠.؛ القلقشندي: صبح الأعشى, ج٣, ص٤٤٤. ٤٤٨.؛

النواحي ولاسيما الكشاف، حيث أضيف كشف الجسور إلى ولاة الأقاليم أنفسهم، ويعاونهم في ذلك مساعدين ذوو خبرة بشئون الجسور والقناطر، عندهم دراية بمواضع البناء وطرقه والمواد اللازمة لإنشاء إحدى تلك الجسور أو القناطر، واضحى لهؤلاء المعاونين مكانة تضاهي ما يكون عليه الكاشف من مهابة وإجلال، ونستنتج من ذلك مدى الزيادة المفرطة التي كانت لأولي أمر المنشآت المائية، فبدلاً من كاشف واحد ومعاونيه صار كل واحدٍ من المعاونين بمثابة كاشف، فتضاعف أولئك الكشاف حتى وإن لم يكن رسميًا، كما صار يطلق على المعاونين لقب الكاشف وله من التقدير والمهابة ما كان للكاشف الفعلي، ورغم أن هذا التصرف قد كلف البلاد أمولاً طائلة لا يغيب عنا كيف كان يتم جمعها عنوة من الناس، ولكن يحسب له بذلك إنه استطاع إرجاع الاستقرار بنسبة كبيرة برجوع هيبة وظيفة الكاشف ووالي البلاد[١].

واستطرادًا لما ذكره المقريزي نجد الصيرفي[٢] يتوافق معه فيما بات عليه حال الكشاف من قوة وهيبة على عهد السلطان الصالح صالح[٧٥٢.٧٥٥هـ/١٣٥١.١٣٥٤م]، بل زاد عليه توضيحًا في إثبات ما كان للكشاف من سلطة تنفيذية، حيث كان من سلطاته قمع المفسدين والقبض عليهم، وفي أحيان يقوم بدور الفصل والقضاء بينهم دون الرجوع للقاضي.

وتشير المصادر التاريخية عن ذلك في غير موضع بين طياتها، ففي سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م ندب السلطان الصالح صالح الأمير عز الدين أزدمر[٣] كاشف الوجه البحري للسفر إلى عمله بالشرقية، فكبس البلاد التي تعرف بأنها مأوى المفسدين في

---

[١] المقريزي: السلوك, ج٢, ق٣, ص٨٠٦.

[٢] انباء الهصر, ص١٤٤, ١٤٥.

[٣] هو الأمير أزدمر الإبراهيمي الظاهري جقمق, اشتهر بتلاوة القرآن القراءة مع قراء الجوق. السيد الباز العريني: المماليك, ص٩٣.

عامة الشرقية والوجه البحري بأجمعه، واستعملاً لصلاحياته كتب بمنع الناس من ركوب النيل؛ ليميز المفسدين من المفلحين، وكبس عدة مواضع، وقبض على المفسدين، فوسط وسمر جماعات منهم، وسير إلى القاهرة مائة وخمسين رجلا في الحديد؛ لأعماهم التخريبية[١].

وثمة حقيقة تاريخية تؤكدها لنا تلك الدراسة، وهي أن السلاطين أبوا أن يتدنى قدر من يتولون وظيفة كشف الجسور؛ وذلك لما حققوه من مساهمة كبيرة في الاستقرار والحفاظ على المنشآت المائية، علاوة على ضبط الأمن والنظام في وقت لم يكن هناك به اهتمام بإنشاء الجديد من الجسور والقناطر، وهذا ما لاحظناه في سنة ٧٨٢هـ/١٣٨١م، حيث جعل السلطان المنصور علي[٧٨٣.٧٧٨هـ/١٣٨٠.١٣٧٧م] كشف الوجه البحري نيابة بإمرة مائة وتقدمة ألف، ومقر نيابتها دمنهور بالبحيرة، وحكمه على جميع بلاد الوجه البحري خلا الاسكندرية، ونائبها كاشف كبير آنذاك؛ وذلك لما أضحت البحيرة من الأقاليم الكبيرة الهامة؛ لتعدد مراكز التجارة والصناعة بها وبخاصة دمنهور[٢] وفو[٣] وغيرها من المراكز[٤].

---

[١]) المقريزي: السلوك, ج٢, ق٣, ص٩١٠.؛ الصيرفي: انباء الهصر, ص١٤٥.؛ مجدي عبد الرشيد بحر: القرية المصرية, ص٥١.

[٢]) دمنهور: بفتح أوله وفتح ثانيه ونون ساكنة, بلدة متوسط في الصغر والكبر, تقع في شمال البلاد على جانب فرع رشيد من نهر النيل, اشتهرت بمايهها الجارية وخضرة بساتينها الدائمة, بينها بين الفسطاط أميل قليلية, وبينها وبين الاسكندرية يوم واحد في طريق مصر الاسكندرية. ياقوت الحموي: معجم البلدان, ج٢, ص٤٧٢.؛ ابن الجيعان: التحفة السنية, ص٧.؛ العمري: التعريف, ص٢٢٣.؛

[٣]) فو: يقال لها فوة: بالضم ثم التشديد, بلفظ الفوة العروق الصبغة التي بها الثياب الحمر, وهي بليدة على شاطئ النيل من نواحي مصر قرب رشيد, بينها وبين البحر نحو خمسة فراسخ أو ستة, وهي ذات أسواق ونخل كثير. ياقوت الحموي: معجم البلدان, مج٤, ص٢٨٠.؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول, ص٦٢.؛ ابن الجيعان: التحفة السنية, ص٤, ١٣٧.

[٤]) طلعت عكاشة: المراسيم وأثرها الاقتصادي, ص٧٩.

ومع قرب نهاية العصر المملوكي تراجعت مكانة الكشاف، فرغم تلك المنزلة التي وصلت إليها تلك الوظيفة إلا أن تدني الأوضاع السياسية بسبب الحروب وكثرة النزاعات كانت كفيلة بأن تحط منها كثيرًا، مما جعل الذين يسعون جاهدين لتولي هذا المنصب يرغبون عنه، وهذا ما أكدته الدراسات التاريخية بأن بعض المسئولين عن كشف الجسور أخذوا يستعفون فيستقيلون من عملهم هذا؛ لعدم وجود عائد مالي كبير لمن يتولاها، وذلك لكثرة الانفلات وضيق حال الناس بكثرة فرض الضرائب، فضلاً عن سخط الناس عليهم وعلى الحكام، ومن ثم انتابهم القتل والاغتيال كان على غيرهم من الأمراء، وبرهان على ذلك ما حدث في سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م، إذ حلت بالبلاد أزمات اقتصادية وسياسية، وكذلك قلة الإيرادات الدولة، مما جعلها تعجز عن أداء المصروفات، وهذا ما جعل عددًا من الذين يقومون بضبط الجسور ترك مهامهم ويستكفون بمسئولياتهم العسكرية، ولا يغيب عنا أنه كان منهم القادة الوزراء وولاة الأقاليم، وذلك لقلة ما تخصصه الدولة لهم لأجل تلك المنشآت، وناهيك عن سوء الحال الذي آل إليه أمر الجسور أواخر عصر المماليك، فلم يبنى منها إلا القليل واقتصر حال الكثير منها على الترميم، إذ تهدمت الجسور معظمها وتعطلت القناطر بعضها، فلم يجدي فيها الإصلاح نفعًا كثيرًا، فضلا عن ذيوع الفساد الإداري، بعد أن وسد الأمر إلى غير أهله، ووضع الرجل في غير محله[١].

وعهد الأشرف برسباي[٨٤١.٨٢٥هـ/١٤٣٧.١٤٢١م]، شهد نصيبًا كبيرًا من الاستقرار بالقوة والحزم، ولا أدل على ذلك إنه واحدًا من الملوك أصحاب العهود الطوال بالحكم، ولم يكن من القلائل ما هو مؤثر غير ما حدث في أواخر عهده وتلك الفترة

[١]) قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري, ص٢٨.

المشار إليها عند الدكتور قاسم، ولكن ذلك كان في الشرقية دون غيرها من البلدان؛ حيث خرج العربان عن الطاعة وتمردوا على الحاكم ومن يمثله من الولاة والكشاف[١].

وجملة الفصل ظل الكشاف متواجدين فعالين حتى نهاية العصر المملوكي، فهذا السلطان الغوري[٩٠٦. ٩٢٢هـ/١٥٠١.١٥١٦م]، كان يعين في كل سنة على كل اقليم كاشفن آخرين، غير الذين هم معينين به، إذ أدخل على نظام وظيفة الكشاف نظام عدم البقاء والاستمرار في نفس الاقليم، وإنما يتم تبادل الكشاف كل عام مع من يعين جديد منهم، ولكثرة تداول الكشاف في كل إقليم كان الأهالي يطلقون عليهم "كاشفو الجسور الجدد"، أو "كاشفو التراب الجدد"، وعملهم جميع ما يتعين على الاقليم أداؤه، من حفر الترع وإقامة الجسور، وحفظ شواطئ النيل زمن الفيضان[٢].

ب) كشاف الجسور بمصر:

- توزيع الكشاف بالوجهين القبلي والبحري:

أما عن عدد الذين يتولون منصب كاشف الجسور وتوزيعهم، فقد اختلف عددهم وتوزيعهم خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، إذ تطورت هذه الوظيفة على مر العهود، فمع بداية العصر الأيوبي كان عدهم لا يتجاوز الثلاثة، وما إن انطوت صفحة هذا العصر ليبدأ العصر المملوكي إلا وسرعان ما بدأ هذا العدد في الزيادة، إذ زاد عددهم ربما إلى الضعف أو أكثر حتى أواخر عصر المماليك البحرية، وأما عن توزيع الثلاثة الذين كانوا يتولون تلك الوظيفة جُعل في الحسبان أن يكون مجال عملهم يشمل

[١] المقريزي: السلوك, ج٤, ق٢, ص٦١٨.؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة, ج١٥, ص٢٨٢.؛ ابن الوكيل : تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك النواب ,ص٦٧.

[٢] ابن زمبل: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني, ص٧, ٨.؛ زين العابدين بن شمس الدين بن نجم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية, ص٤٥٠.

البلاد في الوجهين البحري والقبلي، يعاونهم في ذلك مجموعة من خوالي البلاد، يعملون تحت إشراف الكشاف أنفسهم[١]، ووزع هؤلاء الثلاثة في مصر على النحو التالي:.

١. كاشف الوجه القبلي: وله الولاء من الجيزة حتى الجنادل[٢]، ويولي من تحت إمرته سبعة ولاة الوجه القبلي[٣]، وفي العصر المملوكي صار بالوجه القبلي ثلاث من الكشاف، مقرهم الفيوم والصعيد الادنى، والصعيد الأعلى[٤].

٢. كاشف الوجه البحري: وله الولاء على الشرقية والغربية والسواحل الشمالية، ويولي من تحت إمرته سبعة ولاة من أقاليم الوجه البحري، ويكونوا من مقدمي الألوف[٥]، وفي العصر المملوكي صار بالوجه البحري كاشفان، مقرهما الشرقية والغربية[٦].

٣. كاشف الجيزة: وهو تارة من المقدمين وتارة أخرى من أمراء الطبلخاناة، أحدهم بالصعيد الأعلى والثاني بالصعيد الأدنى، والثالث بإقليم الفيوم[١].

---

[١] القلقشندي: صبح الأعشى, ج٤, ص٢٥.؛ ابن شاهين: زبدة كشف الممالك, ص١٢٩, ١٣٠.

[٢] الجنادل: منطقة الجنادل: والجندل المكان الغليظ ذا الحجارة والمضرسات ,وهما موضعان بالنيل يعرفان بالجنادل, أحدهما فوق أسوان بثلاثة أميال, وهو جبل قطع لطريق ماء النيل, وترك ما قطع منه علي غاية الوعورة, فالماء يتسرب منه بين أحجار عظيمة ,ولا تقدر المراكب تسير فيه لوعورته, وإذا جئته حملت إلي البر متاعها إلي أن تلحق بسير الماء المستقيم .ابن حوقل : صورة الارض,ص١٣٧ ناصر خسرو : سفر نامة ,ص٩٦.؛ المقريزي : الخطط ,ج١, ص١٩٠.

[٣] ابن الشحنة: البدر الزاهر, ص٣٧.

[٤] الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين, ص١٣.؛ عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك, ص٧٢.

[٥] مقدمي الألوف: وهي من أجل أقسام أرباب الوظائف, ومقدمي الألوف بالأبواب السلطانية لكبارهم أسوة كبار النواب بممالك الشام وحلب, ولأوسطهم أسوة أوسطهم كحماة وطرابلس وصفد, ولأصغرهم أسوة أصغهم كغزة حمص ,وكان القواد من فئة أمراء الألوف من لهم حق بطبلخاناه, أي بتنظيم فرقة موسيقية ملحقة بجندهم. العمري : التعريف, ص١٠٢

[٦] عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك, ص٧٢.

ورغم تلك الزيادة في عدد الكشافين على هذا النحو إلا إنه انتهى بها الأمر إلى عدم الانضباط الأمثل في عمارة الجسور وصيانتها، ويرجع ذلك إلى أن كثرتهم تزامنت مع فقدان مهابتهم، وأضحت تلك الوظيفة في كثير من العهود بأواخر العصر المملوكي شرفية ليس إلا، فبات الكشاف كلامه غير مسموع، وأوامره غير واجبة النفاذ، وقراراته لا تجد من يتولاها، وتبعية الولاة صارت مزدوجة بين الكاشف والاستدار، ومن ثم باتت حقوق الرعية في ضياع[٢].

ولما استقر الوضع إلى نيابتين بالوجه البحري جُعل له كاشف من أمراء الطبلخانات على العادة المتقدمة، وهو في الحقيقة تحت أمرة نائب الوجه البحري، ومقره منية غمر بالشرقية[٣]، وجُعل كاشف آخر للبهناسية والفيوم ولكن عُطل الذي بالفيوم من الوالي[٤].

وفي حين أعطانا القلقشندي تفصيلا عن عمل كاشفي الوجه البحري، وذكر: بأن كاشفي الوجه البحري أحدهما من أمراء الطبلخانات، يتحدث في بلاده ما عدا عمل البحيرة، وذلك لقربه من نائب الوجه البحري، وأما الأخر فكان من رتبته أحد المقدمين

---

[١] ابن شاهين: زبدة كشف الممالك, ص١٢٩, ١٣٠.؛ قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري, ص٢٥.

[٢] القلقشندي: صبح الأعشى, ج٤, ص٢٥.؛ عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك, ص٧٢.؛ قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع المصري: ص٢٦.

Ency of islam, art al nil.

[٣] الشرقية: نسبة إلى الشرق, وقيل لها الشرقية لأنها شرق مدينة المنصورة, وهي تقع في الجانب الشرقي من دلتا نهر النيل بمصر. ياقوت الحموي: معجم البلدان, مج٣, ص٣٣٧.؛العمري: التعريف, ص١٠٨.

[٤] القلقشندي: صبح الأعشى, ج٤, ص٦٥.

ويكون لعمل الفيوم، وأضيف إليه عمل البهناسية[١] بجانب بعض الأقاليم بالوجه البحري[٢].

أما الوجه القبلي فأمره يرجع إلى نائبه، يدبر شئون جسوره والقناطر التي به، وللجيزة كاشف يتحدث في جسورها وسائر متعلقاتها، ولا يتعدى أمره إلى غيره من النواحي، ويعد هذا التوزيع المرحلة الثانية من تطور أوضاع الكشاف خلال العصر المملوكي[٣].

وفي بعض الفترات كان اهتمام المماليك بالجسور والقناطر ما يجعلهم يعينون على كل إقليم كاشفين وعدة ولاة، وعلى الأخص في أوقات الفيضان وزيادة النيل، فكان تعيين هؤلاء اضطراري، مهمتهم العمل على صيانة الجسور وعمل الاصلاحات بها[٤].

ومع نهية النصف الأول من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي حدث هناك طور أخر لتطور الوضع الوظيفي لكشافي الجسور، فزاد عدد الكشاف حتى أضحى للوجه القبلي وحده ثلاثة من الكشافين، أحدهم بالفيوم، والثاني بالصعيد الأدني، والثالث بالصعيد الأعلى، وفي حين ظل للوجه البحري كاشفان: أحدهما بالشرقية، والأخر بالغربية، وللجيزة كاشف كالعادة[٥].

ولم تكد الأحداث تسفر عن انتهاء دولة المماليك البرجية إلا وازداد عدد كاشفي الجسور إلى منتهاه، ففي عهد السلطان الغوري[٩٠٦. ٩٢٢هـ/١٥٠١.١٥١٦م] صار

---

[١] البهنسا: بالفتح ثم السكون, مدينة بمصر من الصعيد الادنى غرب النيل, وهي عامرة كبيرة كثيرة الدخل.؛ وقال عنها الطويري: بليدة بالقرب من القاهرة. ابن الطويري: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين, تحقيق أيمن فودة سيد,ط١ ,دار صادر ,بيروت, (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ,ص٧٠.؛ابن حوقل : صورة الأرض , ص١٤٥.؛ياقوت الحموي : معجم البلدان,مج١,ص٥١٦.؛المقريزي : الخطط ,ج١, ص٢٣٧

[٢] القلقشندي: صبح الأعشى, ج٤, ص٢٦.

[٣] القلقشندي: صبح الأعشي, ج٤, ٦٥, ٦٦.

[٤] ابن شاهين: زبدة كشف الممالك, ص١٣١.

[٥] ابن شاهين: زبدة كشف الممالك, ص١٣٠.

للوجه القبلي سبعة أقاليم، وبالوجه البحري سبعة أخرى، وعلى كل إقليم كاشف يهتم بكافة شئونه وعلى الأخص الجسور والقناطر، ولكثرة مهام كشاف الجسور حينذاك بات يطلق على أقاليم مصر كشوفيات[١]، وتأكيدًا لذلك ما صرح به عبدالله الشرقاوي بأن لأسيوط كاشف يتولى أمورها، وذلك في شأن الجسور والقناطر[٢].

ـ نمازج من كاشفي الجسور بمصر:

وعند الحديث عن كشاف الجسور كأهم الفئات الخدمية والوظيفة في عمل الجسور والقناطر ومراقبتها وإصلاحها، لا يفوتنا في هذا المقام التنويه عن بعض الشخصيات التي تولت تلك الوظيفة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، ومن هذه الشخصيات الكثير من كانت لهم سلطات إدارية بالدولة ومنهم من كانت تلك الوظيفة هي سطوته الأولى[٣]:

١ـ الكاشف بيبرس: وهو السلطان المظفر بيبرس الجاشنكير، حيث تولى كشف الجسر بالشرقية قبل أن يتولى السلطنة، ولذلك كانت له أعمال جليلة في الاهتمام بالمنشآت المائية بعدما آلت إلفيه مقاليد الحكم[٤].

٢ـ **الكاشف بيبغا الشمسي:** وهو أحد الأمراء الذين تولوا كشف الوجه القبلي في أواخر عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهو من الأمراء الذين كانت لهم أياد بيضاء في هذا العمل؛ لما كان له من خبرة ودراية بشئون عمله[٥].

---

[١] ابن زمبل: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني, ص٧.

[٢] الشرقاوي: تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين, ص١٣.

[٣] ابن الشحنة: البدر الزاهر, ص٣٦.٣٨.

[٤] المقريزي: السلوك, ج٢, ق٣, ص٨٠٥.

[٥] المقريزي: السلوك, ج٢, ق٣, ص٩٠٨.

٣ـ الكاشف عز الدين طغاي: وهو أحد الأمراء الذين تولوا كشف الوجه البحري في أواخر عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون، كذلك من الذين يحسنون إدارة الجسور حين قطعها، ولديه حنكة في توزيع العمال وقيادتهم[١].

٤ـ الكاشف شهاب الدين قليج: وهو الأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن قليج، وهو أحد الذين تولوا كشف الجسور بالوجه البحري في عهد الظاهر برقوق[٧٨٤-٧٩١هـ/ ١٣٨٢.١٣٨٩م]، عُرف بعزمه الشديد في مواجه الصعاب وعدم اليأس، وكان أحرص ما يكون لتفادي الأخطار وتجنب الناس الأضرار، توفي في سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م[٢].

٥ـ الكاشف تلكتومر: وهو الأمير تلكتومر[٣] أحد الذين تولوا كشف الجسور والعمل على إصلاحها من قبل الظاهر برقوق في سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م، والذي أظهر براعة في إصلاح ما قام العربان بإفساده في الوجه البحري[٤].

٦ـ الكاشف ينبغا الأحمدي: وهو الأمير ينبغا الأحمدي المعروف بالمجنون، أحد الذين تولوا مهنة كشف الجسور بالوجه البحري، وفي سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٥م تم نقله إلى كشف الوجه القبلي لما عرف عنه من براعة في توفير الحراسة والرعاية للجسور من أيد العابسين والمفسدين[٥].

---

١) المقريزي: السلوك, ج٢, ق٣, ص٩٠٨.

٢) المقريزي: السلوك, ج٣, ق٢, ص٥٨٧.

٣) تلكتومر: هو الأمير تلكتوم بن عبد الله التركي الملقب "سيف الدين" , وهو أحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية, مات من الطاعون في سنة ٧٩١هـ . ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات, مج٩, ج١, ص١٧٢.

٤) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات, مج٩, ج١, ص١٧٢.

٥) المقريزي: السلوك, ج٣, ق٢, ص٨٥٠.

٧ـ الكاشف أقبغا الجمالي: وهو من الأمراء الخصيان[١] الذين تقلدوا وظيفة كشف الجسور في عصر المماليك الجراكسة، حيث تولاها في عهد الأشرف برسباي[٨٢٥ . ٨٤١هـ/١٤٢١.١٤٣٧م]، وتحديدًا في سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م عندما استعفى عددًا من الكشاف عن مهامهم بالشرقية؛ لفرط ما كان من العربان من تعسف، ولقرب مكانته من السلطان ولاه تلك الوظيفة، وأظهر براعة فائقة في إصلاح ما تم افساده [٢].

٨ـ الكاشف كريم الدين: وهو الأمير والوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن صاحب كاتب المناخ [٣]، إذ إنه في سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م، خلع السلطان الأشرف برسباي عليه، واستقر كاشفًا على الوجه القبلي بدلا من الأمير محمد الصغير، ورسم بأن يكون أمير كبير كاشف الوجه القبلي والوجه البحري كنائب عن السلطان في ذلك، وهو ما عرف بكاشف الكشاف، كما رسم بأن يستقر الأمير محمد الصغير المعزول عن الكشف دوادار بالقاهرة[٤].

---

[١] الخصيان: هم الخواص من المماليك, وأطلق عليهم الخصيان لما كان يتم فعله بهم من عمليات الخصي؛ وذلك لصفة تواجدهم المستمرة بداخل البيوت السلطانية, فكان ذلك بمثابة الضمان الخلقي لهم عند اختلاطهم بحريم السلاطين, ولقرب مكانتهم بالسلاطين أوكلوا إليهم مهمة تربية المماليك الجدد. إبراهيم أبوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري, القاهرة, ١٩٨٩م, ص١٩٤.

[٢] المقريزي: السلوك, ج٣, ق٢, ص٥٨٧.

[٣] كاتب المناخ: وهو الذي يتولى شئون المناخات السلطانية, وهي التي بها الجمال السلطانية, وما فيها من مال وجمال, ومن يستخدم فيها من سيردان و"مهمرد", والهمرد: هو الذي يتصدى لحفظ الجمال أو قماش الإسطبل والسقاءين ونحو ذلك, وهي كلمة فارسية تتكون من "مه" وتعني الكبير "مرد" وهي تعني الرجل, فتصير بمعني "الرجل الكبير". العمري: التعريف, ص ١٣٥.

[٤] المقريزي: السلوك, ج٤, ق٢, ص٩٣٨.

٩- **الكاشف "كرتباي الأحمر"**: وهو أحد الأمراء الذين تولوا مهمة كشف الجسور بالبحيرة، وهو من أمراء الطبلخاناة[١]، وتولى هذه الوظيفة في عهد اللملك الناصر محمد بن قايتباي [٩٠١.٩٠٤هـ/١٤٩٥. ١٤٩٩م]، وكان من خيرة الذين قاموا بمثل تلك الأعمال؛ وذلك لما قام به من دور عظيم في عمارة الجسور والقناطر بالبحيرة، وذلك رغم ما كانت عليه البلاد من توترات واستعدادات حربية آنذاك[٢].

١٠- كاشفو الجسور في عهد الغوري: ويعطينا ابن زمبل[٣] سردًا دقيقًا لأسماء من تولوا مهنة كاشف الجسور خلال العقدين الأخيرين للعصر المملوكي، فكانت أسيوط مع الكاشف برسباي الأشرفي، ومنوف كاشفها قانصوه العادلي، والفيوم والبهنسا كاشفها جانم الأشرفي، ودمنهور مع كاشفها يونس البدري، والمحلة كانت مع كاشفها أطاس.. وكان مشهورًا بالظلم، وأما ثغور المحروسة فكان كاشفها نائب الإسكندرية قضا بردي، ودمياط كاشفها علي باي، وجرجا كاشفها الأمير علي عمر، والجيزة كاشفها أحد العربان وهو شيخ غزالة حماد بن خيبر، وسنهور[٤] بالغربية كاشفها حسن بن مرعي، والشرقية كاشفها أحمد بن بقر وكان قليل الخبرة وسيء السيرة[٥].

أما عن الذين تولوا وظيفة كاشف الكشاف[٦]، فقد ذكر ابن زمبل بعض ممن تولاها في السنوات الأواخر لدولة المماليك الجراكسة، منهم الأمير دولتباي كاشف

---

[١] الطبلخاناة: معناه بيت الطبل, ويشمل على الطبول والابواق وتوابعها من الآلات, ويحكم على ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف بأمير علم يقف عليها عند ضربها كل ليلة, وعدة أمراء الطبلخاناة في العادة أربعون فارسًا. ابن الشحنة: البدر الزاهر, ص٤٠.

[٢] ابن الشحنة: البدر الزاهر, ص٤٠.

[٣] واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني, ص١٥.

[٤] سنهور: بلد من الغربية, تقع غربي الترعة بالقرب من دسوق, وهي بالقرب من الاسكندرية. ياقوت الحموي: معجم البلدان, مج٣, ص٢٦٩.؛ ابن زمبل: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني, ص١٤٩.

[٥] ابن زمبل: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني, ص١٥, ١٦.

[٦] كاشف الكشاف: هو رئيس الكشاف, ورئيس الفرقة المكلفة بالكشف عن الأضرار التي نجمت عن انهيار الجسور والقناطر, وكان بمصر المملوكية ٢٤ كاشفية وهي القسم الإداري الأقل من الولاية, يتولى رئاستها

الجيزة والوجه البحري، ومنهم أيضًا الأمير دولتباي الكبير كاشف الصعيد، ومنهم الأمير تنمر الزردكاش نائب الإسكندرية، والأمير أبرك رأس الجلبان[١].

ج) معاونو كشاف الجسور:

ولإنجاز أحد هذه المشروعات العظيمة كالجسور والقناطر؛ فإن الأمر يتطلب أيامًا طويلة، وعمالة كثيرة، ومواد بناء وفيرة، وأموالًا طائلة، وجهدًا ومشقة كبيرة، وخبرة ذات قرارات حكيمة، فضلا عن مواجه مع الطبيعة التي لا تعرف الرحمة ولا التهاود، ومن ثم فإن كاشف الجسور لا يستطيع عمل كل ذلك بمفرده إنما كان في حاجة إلى من يعاونه في اتمام العمل، ويشاركه في اتخاذ القرارات الصائبة، وإدارة عمل المشروع بحكمة ورزانة، لذا شارك الكشاف مجموعة من العمال والمهندسين والخبراء، يرسمون الخطط ويؤدون العمل وينفذون القرارات في همة ونشاط[٢]، ومن الفئات المعاونة للكاشف ما يلي:.

ـ مهندسو العمائر:

ومهندسو العمائر هي من الألقاب الإسلامية لحاشية السلطان في العصر الأيوبي والمملوكي، وظهور هذا اللقب مبتدع خلال تلك الفترة، ومرجوع ظهوره لما زادت وتداعت إليها الحاجة في إنشاء الجسور والقناطر بجانب المنشآت العمرانية العامة آنذاك، فكثرت المنشآت المائية وانتشرت في ضواحي البلاد، فضلا عن انشغال الدولة في العصرين بالناحية العسكرية والسياسية عما عداها، وتركت المشروعات الداخلية في أيدي الموظفين الإداريين، فكانت الدولة في حاجة إلى من يدير شئون

مجموعة من كشافي الكشاف. زين العابدين بن شمس الدين بن نجم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية, ص٤٤٣, ٤٤٤.

[١]) ابن زمبل: واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني, ص١١٤.

[٢]) ابن مماتي: قوانين الدواوين, ص٢٧٦, ٢٧٩.

العمارة بالبلاد، فلجئوا إلى هؤلاء المهندسين وقربوهم من مجالسهم، وأغدقوا عليهم العطايا تقديرًا لمجهوداتهم[١].

ـ المعمارية:

وهي إحدى الوظائف التي تنسب للعصر المملوكي، فالمهندس أو المعمار الذي يتولاها عرف بوثائق العصر المملوكي باسم "المعلم"، فجاء في وثيقة وقف السلطان الغوري "فمن ذلك أربعمائة درهم تصرف لرجلين مهندسين عارفين بالأبنية، ماهرين في صناعتهما، وقطع فرط عيوبها يقررهما الناظر على هذا الوقف في وظيفة المعمارية بهذا الوقف ، يتفقدان أبنيته ويحصران ما تحتاج إليه العمارة من مون وبنايين وغير ذلك مما تدعو الضرورة إليه، ويقفان على الشد والهدم البناء على إعادة أمثالها في ذلك"[٢].

ـ خولة الجسور:

الخولي هو القيم على الأملاك، أو المكلف بالإشراف على الزراعة، والخولي هو الراعي الحسن بالقيام على المال والغنم، ولفظ الخولي مأخوذ من التخول وهو التعهد وحسن الرعاية، وهو أيضًا الخبير بشئون الزراعة في القرية، كما إنه موكل بزراعة أرض الأوسية، ويختص بفصل دعاوي الفلاحين الخاصة بالطين والزراعة والإشراف على الجسور، ومشاركة مشايخ البلاد في توزيع الأرض على الفلاحين، ونظر مطالبهم واحتياجاتهم، وكذلك الإشراف على الزراعة وشئون الري، ومع أواخر العصر المملوكي أصبحت هذه الوظيفة شبه وراثية[٣].

---

[١] القلقشندي: صبح الأعشى, ج٦, ص١٧٠.

[٢] محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية, ص٣١٧, ٣١٨.

[٣] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة, ص١٣٨.؛ زين العابدين بن شمس الدين بن نجم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية, ص٢٢٧.

والخولي هو الذي يختص بمساحة الأرض الزراعية بعد ريها وقبل بدء زراعتها، وهو المختص بمعرفة حدود القرية، وتحديد أرض الأثر لكل فلاح، أي الأرض التي يزرعها الفلاحون مقابل الانتفاع منها بإطعام انفسهم وحيواناتهم[١]، وعند الحاجةإيهم في عمل الجسور يتم الزج بهم في العمل نفسه[٢].

ورغم أن الخولي كوظيفة لم تكن مستحدثة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، إلا إنها باتت من أهم الوظائف بالقرى المصرية إبان العصر المملوكي؛ بسبب الدور الهام الذي تقوم به في المنشآت المائية، فلم تكن تخلو قرية من قرى مصر آنذاك من وجود عدة خولة أو خولٍ واحدٍ على الأقل[٣]، وإضافة لما سبق فإن للخولي مهام أخرى، تمثلت في جمع الفعلة والعمالة المسخرة الذين كان يتم جمعهم بالعنف والتهديد في كثير من الأحيان، [٤].

[١] زين العابدين بن شمس الدين بن نجم: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية, ص٢٢٧.

[٢] ابن إياس: بدائع الزهور, ج٤, ص٨٦.؛ مجدي عبد الرشيد بحر: القرية المصرية, ص٥٠.

[٣] ابن مماتي: قوانين الدواوين, ص٢٧٨.

[٤] الإدفوي: الطالع السعيد: ص٦٤٨.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات:

- **مؤلف مجهول:**

١. خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨م.

ثانيًا: المصادر:

- **الإدفوي: (الشيخ الإمام أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الإدفوي الشافعي) ت٧٤٨هـ.**

٢. الطالع السعيد الجامع نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، الدار المصرية، القاهرة ١٩٩٦م.

- **ابن إياس :(أبو البركات محمد بن أياس الحنفي المصري) ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م.**

٣. بدائع الزهور في وقائع لدهور، ٥ أجزاء، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة لعامة للكتاب، القاهرة "١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- **ابن الجيعان: (الشيخ الامام شرف الدين يحيي بن المقر بن الجيعان) د.ت**

٤. التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة (١٩٧٤م).

- **ابن حوقل: (أبوالقاسم أحمد النصيبي) ت٣٦٧هـ.**

٥. صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت . لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- **زمبل: (الشيخ أحمد الرمال بن أبي الحسن على بن نور الدين المحلي الشافعي) ت٩٦٠هـ.**

٦. واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق عبد المنعم عامر، دار الكتب، القاهرة١٣٣٩هـ/١٩٩٧م.

- **ابن شاهين:(غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري) ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م.**

٧. زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ،نشر بولس راوميس مطبعة الجمهورية، باريس، ١٨٩٤م.

- **ابن الشحنة: (عفيف الدين حسين بن محمد بن محمد) ت٩١٠هـ.**

٨. البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر "محمد بن قايتباي"، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- **الشرقاوي: (الإمام الشيخ عبدالله الشرقاوي رحمه الله.) (د.ت).**

٩. تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين بهامش كتاب فتوح الشام للواقدي، المكتبة الشعبية ، بيروت.

١٠. نفس المصدر، تحقيق رحاب عبدالحميد القاري، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- **ابن الرومي: (محمد بن ابراهيم اللخمي البناء المعروف بابن الومي) (توفي في القرن الثمن الهجري/ الرابع عشر الميلادي).**

١١. الاعلان بأحكام البنيان دراسة أثرية معمارية، تحقيق محمد عبد الستار عثمان، دار الوفاء ، الإسكندرية.

- **ابن الصيرفي: (علي بن داوود الجوهري) ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م.**

١٢. أنباء الهصر بأبناء العصر ،ط٢، تحقيق د. حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- **ابن العبري: (العلامة أبو الفرج غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الطيب الملطي المعروف بابن العبري) ت ٦٨٤هـ/١٢٨٦م.**

١٣. تاريخ الزمان، تحقيق اسحق أرملة، دار الشرق، بيروت١٩٩١م.

١٤. تاريخ مختصر الدول، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي، الطبعة الثانية، دار الرائد البناني، بيروت١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- **ابن العراقي: (ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين ابن العراقي). (ت٨٢٦هـ).**

١٥. الذيل على العبر في خبر من عبر، تحقيق صالح مهدي عباس، قسمين، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- **العروسي: الشيخ العلامة ومنار العلماء السيد مصطفى العروسي. د.ت.**

١٦. أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل، تحقيق الشيخ الدمنهوري، مطبوعات الأزهر الشريف، القاهرة.

- **العمري: (القاضي ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيي) ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م.**

١٧. التعريف بالمصطلح الشريف ،تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

- **ابن الفرات: (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات) (د.ت).**

١٨. تاريخ ابن الفرات، ٩ اجزاء، تحقيق قسطنطين زريق، المطبعة الأميركانية، بيروت ١٩٣٦.

- **الفيروزآبادي:(مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي) ت٨١٧هـ/١٤١٤م.**

١٩. القاموس المحيط، تعليق الشيخ أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي(ت١٢٩١هـ)، تحقيق أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث القاهرة،١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

- **القلقشندى: (شهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي) ت٨٢١هـ/١٤١٨م.**

٢٠. صبح الأعشى في صناعة الإنشا،١٤جزء،المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٨هـ/١٩٣٥م.

- **أبو المحاسن: (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي) ت٨٧٤هـ /١٤٦٩م.**

٢١. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،١٦جزء،تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار صادر ،بيروت ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- **المقريزي : (تقي الدين أحمد بن علي) (٨٤٥هـ/١٤٤٠).**

٢٢. السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١،ج٢،مطبوعة في ستة أقسام ،تحقيق محمد مصطفي زياد، القاهرة ١٩٥٨،مطبوعة في ستة أقسام ، بقية الأجزاء تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م.

٢٣. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم و مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧م.

- **ابن مماتي: (أبو المكارم الأسعد بن المهذب(أو ابن الخطير)بن مينا بن زكريا بن مماتي) ت٦٠٦هـ/١٢٠٨م.**

٢٤. قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية، مطبعة مصر ، القاهرة، ١٣٦٤هـ /١٩٤٣م.

- **ناصر خسرو: (أبو معين القباديانى المروزي العلوي) ت٤٨١هـ.**

٢٥. سفر نامة ،ترجمة عن الفارسية د. يحيى الخشاب تصدير عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- **ابن الوكيل: (يوسف الملواني) ت١١٣١هـ.**

٢٦. تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق محمد الششتاوي، دار الأفاق العربية ، القاهرة ،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

- **ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي) ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م.**

٢٧. معجم البلدان، خمسة مجلدات، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

ثانيًا المراجع العربية الحديثة:

- **إبراهيم أمين غالي:**

٢٨. سيناء المصرية عبر التاريخ، المطبعة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

- **حسن الباشا:**

٢٩. الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- **زين العابدين بن شمس الدين بن نجم:**

٣٠. معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- **سامي محمد نوار:**

٣١. المنشآت المائية منذ الفتح الاسلامي وحتى العصر المملوكي، دار الوفا لدنيا الطباعة، الإسكندرية. د. ت.

- **سعيد عبد الفتاح عاشور:**

٣٢. العصر المملوكي في مصر والشام، ط٢، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م.

- **السيد الباز العريني:**

٣٣. المماليك، دار النهضة العربية، بيروت(١٣٨٦هـ/١٩٦٧م).

- **عبدالمنعم ماجد :**

٣٤. نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر "دراسة شاملة للنظم السياسية"، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٧٩م، ١٤٠٧هـ/١٩٨٨م.

- **فريد شافعي:**

٣٥. العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩٤م.

- **قاسم عبده قاسم :**

٣٦. النيل والمجتمع المصري عصر سلاطين المماليك، دار المعارف ، القاهرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م.

٣٧. **دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.**

٣٨. عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣٩. أسواق مصر في عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠١١م.

- **مجدي عبد الرشيد بحر:**

٤٠. القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك [٩٢٣.٦٤٨هـ/١٢٥٠. ١٥١٧م]، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- **محمد محمد أمين:**

٤١. الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار النهضة العربية، القاهرة١٩٨٠.

- **مني محمد بدر محمد بهجت:**

٤٢. أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي علي الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.